

التبيان في تفسير القرآن

(409) مثلهم " يحتمل وجوها أحدها - ما روي عن ابن مسعود، وغيره من أهل العلم أن
□ قلل المشركين يوم بدر في أعين المسلمين لتقوى قلوبهم فأوهم مثلي عدتهم. وقال
الفراء يحتمل ثلاثة أمثالهم كما يقول القائل إلى الف واحناج إلى مثليه أي مضافا إليه لا
بمعنى بدلا منه، فكذاك ترونهم مثلهم مضافا إليهم فذلك ثلاثة أمثالهم، وأنكر هذا الوجه
الزجاج، لمخالفته لظاهر الكلام. وما جاء في الآية الأخرى في الانفال من تقليل الاعداد. فان
قيل كيف يصح تقليل الاعداد مع حصول الرؤية وارتفاع الموانع وهل هذا إلا ما تقوله المجبرة
من أنه يجوز أن يكون بحضرتنا أشياء تدرك بعضها دون بعض بحسب ما يفعل فينا من الإدراك
وهذا عندنا سفسطة تقليل في المشاهدات؟ قلنا: يحتمل أن يكون التقليل في أعين المؤمنين
بأن يظنونهم قليلي العدد، لانهم أدركوا بعضهم دون بعض، لان العلم بما يدركه الانسان جملة
غير العلم بما يدركه مفصلا، ولهذا: إذا رأينا جيشا كبيرا أو جمعا عظيما ندرك جميعهم،
ونتبين أطرافهم ومع هذا نشك في أعدادهم حتى يقع الخلف بين الناس في حزر عددهم، فعلى
هذا يكون تأويل الآية. وقد ذكر الفراء عن ابن عباس أنه قال: رأى المسلمون المشركين
مثلهم في الحزر بستمائة وكان المشركون سبعمائة وخمسين. فأما قوله في الانفال: " وإذ
يريكموهم إذا التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم " (3) فلا ينافي هذا لان هذه آية
للمسلمين أخبرهم بها وتلك آية لاهل الكفر حجة عليهم. على أنك تقول في الكلام إنني لارى
كثيركم قليلا أي تهونون على لاني أرى الثلاثة اثنين ذكره الفراء، وهو جيد. وقيل: الوجه في
تقليل الكفار في أعين المؤمنين أن يكون أقوى لقلوب المؤمنين، فلا يفرغوا، ولا يفسلوا،
ويتجرأوا على قتالهم. والوجه في تقليل المؤمنين في أعين الكفار إذا رأوهم قليلين
استهانوا بهم واستحقروهم فلم يأخذوا إهبتهم ولم يستعدوا كل الاستعداد فيطفر بهم
المؤمنون، وهو جيد أيضا. وقال البلخي إنما قال مثلهم وهم كانوا ثلاثة أمثالهم لانه أقام
الحجة عليهم بأنهم وإن كانوا ثلاثة أمثالهم فلم يخرجوا من أن يكونوا الهامش " 1 " سورة
الانفال آية: 45.